# النظريّة النقديّة عند هربرت ماركيوز

**م.م. هدير حسن جواد**

**الجامعة التقنية الوسطى/ معهد الفنون التطبيقية**

hadeer-hassan@mut.ede.iq

**الملخص:**

يتبلور هدف بحثنا الموسوم بـ: ((النظريّة النقديّة عند هربرت ماركيوز)) في الكشف عن القيود التي فرضتها الرأسماليّة في المجتمعات الغربيّة، وتبيان الجانب السلبيّ للتطور التكنولوجيّ والتقنيّ المعاصر الذي أدى إلى ضياع الفرد واغترابه في بيئته العمليّة وحياته الشخصيّة.

فضلًا عن الإشارة إلى واحدة من المدارس الفلسفيّة التي ظهرت في المرحلة المعاصرة وهي مدرسة فرانكفورت النقديّة التي أخذت على عاتقها مهمة تحرير الإنسان من العبوديّة التي فرضها العلم ولذلك اتسمت المدرسة بالطابع النقديّ؛ نظرًا لما قدمه أعضاء هذه المدرسة ومنهم الفيلسوف هربرت ماركيوز من نقد للواقع.

يذهب ماركيوز إلى نقد قضايا ومشكلات الواقع الراهن السياسيّة منها، والاجتماعيّة، والفكريّة، والاقتصاديّة، ولحل الأزمة التي يعاني منها الإنسان المعاصر لا بدّ من حدوث الثورة؛ فلا يمكن أنّ يحدث أي تغير جذريّ للمجتمعات الغربيّة إلا من خلال قيام الثورة، ويتخذ ماركيوز من الفن، والجمال، وسيلتين للتحرر الفكريّ للإنسان.

**الكلمات المفتاحية:** النقد، التحرر، مدرسة فرانكفورت النقدية، الفن، الجمال.

## Critical Theory of Herbert Marcuse

**Summary:**

The aim of our research entitled: "Herbert Marcuse's Critical Theory" is to reveal the restrictions imposed by capitalism in Western societies, and to show the negative side of contemporary technological and technical development that has led to the individual's loss and alienation in his work environment and personal life.

In addition to referring to one of the philosophical schools that emerged in the contemporary era, which is the Frankfurt School of Criticism, which took upon itself the task of liberating man from the slavery imposed by science. Therefore, the school was characterized by a critical nature, due to the criticism of reality provided by the members of this school, including the philosopher Herbert Marcuse.

Marcuse goes to criticize the issues and problems of the current reality, including political, social, intellectual and economic ones. To solve the crisis that contemporary man suffers from, revolution must occur; no radical change can occur in Western societies except through revolution. Marcuse uses art and beauty as two means for the intellectual liberation of man.

**Keywords:** Criticism, Liberation, Frankfurt School of Criticism, Art, Beauty.

**المقدمة**

شهدتْ الفل سفة في المرحلة المعا صرة ازدهاراً كبيرًا في جميع جوانبـ ها وفروعـ ها مما أدى إلى ظهور مدارس فل سفيّة عدة منها: المدر سة الوجوديّة والمدر سة البرجماتيّة والمدر سة التحليليّة، والمدر سة التفكيكيّة، والمدرسة الظاهراتيّة، ومدرسة فرانكفورت النقديّة وغيرها من المدارس، وما يميز هذه المدارس عن غيرها من المدارس والمذاهب الفل سفيّة ال سابقة أنها خرجت عن الحيز التقليديّ للبحث؛ فبعد أنْ كان الفلا سفة ال سابقين يركزون في البحث عن أ صل الوجود، والموجودات صار البحث عن الإن سان بو صفه إن سانًا إن سان والاهتمام بمـ شكلاته وحقوقه إذ صار البحث الفل سفيّ يركز على درا سة الواقع الإن سانيّ لا سيما وأنّ الفلا سفة في هذه المرحلة عا صروا أحداث الحرب العالميّة الأولى والثانية و شاهدوا الا ضطهاد الذي عا شه ويعـ شيه الإن سان خلال حياته.

على الرغم من أن إن سان اليوم يعيش في واقع يتيح لـه كل ا لخد مات والأدوات التي توفر لهُ حـ ياة الرفاهيّة؛ وذلك بـ سبب سرعة تطور العلم والتكنولوجيا والتقنيّات إلّا أنها حولت الإنسان إلى شيء أو آلة، فضلًا عن أن غا ية المجتمع تكمن في تحقيق أكبر قدر من الأرباح وزيادة في قوى الإنتاج حتى صار الإنسان خاضع لهذه التكنولوجيا مما أدى إلى اغترابهِ في بيئته وحياتهِ، وعلى وفق ذلك ظهرت مدر سة فل سفيّة غربيّة وهي مدر سة فرانكفورت النقديّة، وأخذت على عاتقها مهمة تحرير الإن سان من عبوديّة العلم والتكنولوجيا والتقنيّة، إذ واكـ بتْ هذه ا لمدر سة التحولات والتغيرات التي شهدتها المجتمعات الغربيّة المعا صرة لا سيما على ا لجا نب الفكريّ، والـ سـ يا سيّ، والاجتـ ماعيّ،

والاقتصاديّ؛ لذلك اتسمت بالطابع النقديّ ووجهت انتقادات للمفاهيم والقيّم التي عرفتها المجتمعات الغربيّة المعاصرة كمفهوم التشيؤ والاغتراب وضياع مكانة الفرد والعقلانيّة والتقدم العلميّ والتقنيّ، لذا فغاية فلاسفة هذه المدرسة تكمن في نقد المجتمعات الرأسماليّة وهذا ما سنجده في فلسفة هربرت ماركيوز النقديّة.

وإما إشكاليّة البحث فتتمحور بشأن الأسئلة الآتية: ما هو موقف الفيلسوف هربرت ماركيوز من التقنيّة والتكنولوجيا والرأسماليّة؟ وكيف تناول ماركيوز مفهوم النظرية النقديّة؟ وهل استطاع تحقيق نظريته النقدية؟ وكيف يمكن للإنسان التحرر من تحكم الرأسماليّة والتكنولوجيا في ظل هذا التقدم المستمر للعلم؟ وما هي الأدوات التي يحددها ماركيوز كوسائل للتحرر الإنساني؟، وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدتُ المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي الوصفيّ، وإما هيكليّة البحث فقسمته إلى محورين: المحور الأول جاء بعنوان: الإطار الفكريّ والفلسفيّ لهربرت ماركيوز، والمحور الثاني بعنوان بـ: النظريّة النقديّة عند هربرت ماركيوز، فضلًا عن خاتمة تتضمن ما جاء في البحث من نتائج.

**المحور الأول: الإطار الفكريّ والفلسفيّ لهربرت ماركيوز**

ينتمي ماركيوز إلى مدرسة فرانكفورت النقدية، ويرجع نشأة هذه المدرسة إلى تأسيس معهد البحوث الاجتماعية الذي مارس أعماله في مدينة فرانكفورت الألمانية، وأفتتح المعهد بصورة رسمية في عام ١٩٢٤م "وتكوَّن كحلقة فكرية أو حركة طلائعية، عبر المناقشات الجماعية لمؤسسيه، ممن شكلوا إحدى فصائل الموجة الراديكالية، وعايشوا صعود اليسار الألماني وانتكاسته، وتشاركوا في همّ رفض المشروع الثقافي الغربي، ورغبوا في القيام بنقد جذري لعصرهم... من هنا وجدت هذه المدرسة نفسها تضطلع بمهمة رئيسية... هي الرغبة في صوغ أساس لنظرية وممارسة أكثر قدرة وفاعلية على تفسير الظروف التاريخية المستجدة والتعامل معها، بوساطة ممارسة نمط من النقد السلبي" (بوتومور، ٢٠٠٤، الصفحات ١٦-٢٠). فقد شهدت هذه المدرسة، وواكبت التحولات الفكريّة والاجتماعيّة والسياسية للمجتمعات المعاصرة، لذا فأهم ما يميز هذه المدرسة اتسامها بالطابع النقديّ، وحاولت القيام بممارسات نقديّة للحضارة الغربيّة؛ وذلك لأنها تسعى إلى إعادة البحث في الأسس والنتائج التي انطلقت منها وذلك على وفق التحولات الأساسيّة الكبرى التي نتجت عن الحداثة الغربيّة، ووجهت المدرسة انتقادات عميقة للمفاهيم والقيّم التي عرفتها المجتمعات الغربيّة المعاصرة كالتشيؤ والاغتراب وأزمة المعنى وضياع مكانة الفرد

والعقلانيّة والحرية والتقدم العلميّ والتقنيّ لذلك يقدم مفكرو هذه المدر سة تحليلًا نقديًا للمجتمعات المتقدمة تكنولوجيًا والكشف عن الآليات الفكريّة والسياسيّة التي تتحكم وتو جه هذه المجتمعات (بومنير، ٢٠١٠، الصفحات ٩–١٠).

من أعضاء مدرسة فرانكفورت النقدية: ماكس هوركهايمر (١٨٩٥–١٩٧٣م)، وتيودور أدورنو (١٩٠٣–١٩٦٩م)، هربرت ماركيوز (١٨٩٨–١٩٧٩م)، يورغن هابرماس (١٩٢٩م)، أك سل هونيث (١٩٤٩م)، و سيلا بن حبيب (١٩٥٠م).

## أولًا: حياة هربرت ماركيوز ومؤلفاته

ولد هربرت ماركيوز في عام ١٨٩٨م في برلين من عائلة يهودية، وأن ضم إلى الحزب الا شتراكي الديمقراطي الألماني المـ ستقل في عام ١٩١٧م، لكنه ترك الحزب بـ سبب اغتيال الفيلـ سوفة الـ سيا سيّة روزا لوك سمبورغ (١٨٧١–١٩١٩م) والزعيم الا شتراكي كارل ليبنخت (١٨٧١–١٩١٩م) (بوتومور، ٢٠٠٤، صفحة ١٥٧). درس ماركيوز الفلـ سفة في جامعتي برلين وفرايبورج وحـ صل على الدكتوراه في الأدب عام ١٩٢٢م تحت أ شراف أ ستاذه مارتن هيدغر (١٨٨٩–١٩٧٦م)، وحملت اطروحته عنوان: ((أنطولوجيا هيجل والنظرية التاريخانية)) التي ساهمت في انبعاث جديد لفلـ سفة هيجل (١٧٧٠–١٨٣١م)؛ وذلك لأنه يؤكد من خلالها على أهمية أنطولوجيا هيجل في الحياة والتاريخ ونظريته المثالية في الروح والديالكتيك (مجموعة مؤلفين، الفلـ سفة الغربية المعاصرة ج١، ٢٠١٣، الصفحات ٧٥٥–٧٥٦).

وفي عام ١٩٣٢م أصبح عضوًا في معهد البحوث الاجتماعية في جامعة فرانكفورت بألمانيا، لكن تـ سلم هتلر (١٨٨٩–١٩٤٥م) للـ سلطة أ ضطره إلى الـ سفر إلى مدينة جنيف، وعمل هناك بالتدريس لمدة عام، ثم بعد ذلك هاجر إلى الولا يات المتحدة وعـمل في الـ سنوات (١٩٣٤–١٩٤٠م) في معـهد البحوث الاجتـماعـية الـذي انتقل بدوره من فرانكفورت إلى جامعة كولومبيا، فقد ظهر ماركيوز بو صفه فيلـ سوف وعالم اجتماع وباحث في علم النفس، وأخذت أفكاره تنتـ شر في المحافل الفكريّة والـ سيا سيّة في باقي الدول الغربية، فـ ضلًا عن ذلك فأنهُ عـ مل خلال مدة الحرب الـعالـمية الـ ثانـية في مكـ تب الدرا سات الا ستراتيجية، وعمل في مكتب المخابرات التابع إلى وزارة الـخارجية الأمريكيّة، وفي عام ١٩٥٠م عمل في المعهد الرو سيّ في جامعة كولومبيا، وفي عاميّ (١٩٥٤–١٩٦٧م) عـ مل في معـهد البحوث الرو سيّة بجامعة هارفارد، وانتقل في سنة ١٩٦٧م إلى جامعة كاليفورنيا وعمل فيها ا ستاذ للفكر الـ سيا سيّ وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٩٧٩م (بوتومور، ٢٠٠٤، الـ صفحات ١٥٦–١٥٧).

تظهر أهمية ماركيوز في المعهد من خلال دوره الفعال في إثراء النظريّة النقدية لمدر سة فرانكفورت، إذ شغل وظيفة الخبير في ال شؤون الفل سفية والنظرية ال سيا سيّة للمعهد، وتميزت أفكاره في هذه المرحلة بأنها تأثرت بالمناخ الماركسيّ الذي كان سائد في المعهد (حسن ح.، ١٩٩٣، صفحة ١٠٥). تتركز أفكاره ال سيا سيّة ب شأن ثلاث ق ضايا أ سا سيّة وهي: دور الطلاب في المجتمع الرأسماليّ، والحركة الطلابيّة في فرن سا عام ١٩٦٨م، ودور الطب قة ال عام لة ا لحدي ثة في الغرب (بوتومور، ٢٠٠٤، صفحة ١٥٧). يرى ماكيوز أن النازية بحركتها السيا سيّة تعبر عن المصالح الطبقيّة للبرجوازيّة فعندما أ ستولى هتلر على الحكم في ألمانيا ذهب أ صحاب المال من التحالف معهُ؛ وذلك من أجل فرض ال سيطرة على الطبقة العاملة والق ضاء على الحزب ال شيوعيّ وال لديموقراطيّ وتقويض الا تحادات العماليّة (ماكنتير، ١٩٧٢، صفحة ٧).

وإما ما يخص **كتاباته**، فإنه يكرس أعماله وأفكاره في المدفاع عن نواة العقلانيّة للفل سفة الغربية القديمة في مقابل اللاعقلانيّة المعا صرة، فيرى أن هذا الدفاع يعد جزءًا من مهام الفلسفة؛ وذلك لأنهُ يجعل من مهمة الفل سفة نقد كل ما هو قائم (ماكنتير، ١٩٧٢، ال صفحات ٩-١٠). ومن أهم مؤلفا ته هي: العقل والثورة: هيجل ونـ شأة النظرية الاجتماعية، الحب والحضارة، فلسفات النفي: دراسات في النظرية النقدية، الماركـ سية ال سوفيتية، الإن سان ذو البعد الواحد، نحو ثورة جديدة، الثورة والثورة الم ضاد، نظرية الوجود عند هيجل (بوتومور، ٢٠٠٤، صفحة ١٥٨).

## ثانيًا: الأصول الفكريّة لفلسفة هربرت ماركيوز

تأثَّر ماركيوز بالعد يد من الفلا سفة منهم الفيلسوف الألماني هيجل (١٧٧٠-١٨٣١م)، والفيلسوف كارل ماركس (١٨٨٩-١٨١٨م)، وعالم التحليل النف سيّ سيغموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م)، يظهر **الأثر الهيجليّ** من خلال المنهج الجدليّ الذي يوظفه في كتابه ((العقل والثورة)) إذ يذكر ماركيوز في مقدمة الكتاب: "ألف هذا الكتاب على أمل أن يـ سهم بدور بـ سيط، لا في إحياء هيجل، بل في إحياء ملكة عقلية يخشى عليها من خطر ال ضياع ألا وهي القدرة على التفكير ال سلبي" (ماركيوز، ١٩٧٠، صفحة ١٧)؛ وذلك لأن فل سفة هيجل تتمحور ب شأن فكرة ال سلب التي شكلت نظريته في الجدل، فالسلب يعد القوة المحركة لكل شيء ويرفض وينكر كل ما هو قائم ويعمل على قلب كل شيء؛ لأنه يحمل في داخل كل شيء نقيضه ويحمل عوامل الثورة ايضًا؛ لذلك عدّ هيجل من الفلا سفة الثوريين بـسبب أ سلوبه الجدليّ (عوا ضة، ٢٠٠٩، ال صفحات ٢٤-٢٥). فلم يهتم ماركيوز بهيجل الفيل سوف وإ نما يركز على الطابع

الـ سلبيّ الجدليّ ويتخذه المقولة الأ سا سيّة الجدل والقوة التي تحرك الفكر والواقع (زكر يا، ١٩٧٨، صف حة ١٢٨).

إذًا يتخذ الجدل عند هيجل الطابع الـ سلبيّ "الذي يأخذنا إلى التـ صور الحقيقي للعقل على اعتبار الـ سلب هو قوام العملية الجدلية الفعلية، وبهذا يـ صبح السلب برأي ماركيوز قوة بارزة تـسعى إلى فضح وكشف الواقع بما فيه من قوة وضعف" (فضيلة، ٢٠٢٢، صفحة ٣٦٨). وفي هذا الصددْ يقول ماركيوز: "والواقع أن فلسفة هيجل فلسفة سلبية... فالدافع الأصلي لهذه الفلسفة هو الاقتناع بأن الوقائع المعطاة التي تبدو للذهن العادي مظهرًا إ يجاب يًا للحقيقة، هي في واقع الأمر سـلب للحقيقة، بحيث لا يمكن إقرار الحقيقة إلا بهدمها. وفي هذا الاقتناع النقدي تكمن القوة المدافعة للمنهج الجدلي، فالجدل بأكمله مرتبط بالفكرة القائلة أن هناك سلبية أساسية تتغلغل في كل أشكال الوجود، وأن هذه السلبية تتحكم في مـ ضمون هذه الأ شكال وحركتها" (ماركيوز، ١٩٧٠، صفحة ٤٩). يكمن سبب اتخاذ ماركيوز للسلب الهيجليّ بو صفه الأداة العقليّة التي "تمتنع عن قبول المتناقضات الخطيرة التي تطفو على سطح الواقع، إذ أن الطريقة الجدلية في التفكير، ذات طابع نقدي للأو ضاع القائمة التي تسكن نظام الحياة المستتب" (قاسم، موجز في النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، ٢٠١٣، صفحة ١٤).

وإما ما يخص **الأثر الماركسيّ**، فالماركسية تعد من الفلسفات التي تؤمن بفكرة التغيير، أي تغيير العالم، وتتركز أفكارها على الماديّة الجدليّة والماديّة التاريخيّة، إذ يف سر ماركس التاريخ على وفق الماديّة التاريخيّة التي تدرس تطورات المجتمع وظهور التنظيمات الـ سيا سيّة، وتعتمد على التغييرات التي تنتج من خلال العلاقة بين قوى الإنتاج وعلا قات الإنتاج، نظرًا لذلك فإن وعي الأفراد يمثل نتاج لما هو عليه حالهم سواء أكان الحال الاجتماعيّ أم الحال الاقتـ صاديّ (المحمداوي، ٢٠١٥، صف حة ١٥٦). يقول ماركس في كـ تا به ((البـ يان الشيوعي)): "ليس تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا سوى تاريخ الطبقات. فالحر والعبد، النبيل والعامي،...، فالظالمون والمظلمون المتعار ضون دومًا خا ضوا صراعًا... ينتهي دائمًا إما بتغيير المجتمع كله تغييرًا ثوريًّا وإما بانهـ يار كلـ تا الطبقتين المتـ صارعتين" (ماركس ك.، ٢٠١٥، الصفحات ٤٥-٤٦).

تقسم الماركسيّة المجتمع الإنسانيّ إلى طبقتين هما: الطبقة البرجوازية والطبقة البروليتارية، إذ ترى أن "الطبقات التي تمتلك وسائل الإنتاج تهيمن بالضرورة على قوى الإنـ تاج الأخرى التي تحرم من حق الملكـ ية

الخا صة. غير أن ظهور قوى منتجة ومالكين جدد لقوى الإنتاج، يـ ساهم في إدخال المجتمع في تناق ضات مع العلاقات السابقة. الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى تغييرها في اتجاه جديد للهيمنة تحدده الطبقات الـ صاعدة" (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ٤٧٥).

تـ سعى الماركـ سية إلى محاربة الا ستغلال الذي نتج في ظل هيمنة الطبقة البرجوازيّة التي تمثل طبقة ا صحاب رأس المال، لـ صالح الطبقة البروليتاريّة التي تمثل طبقة العمال أو اليد العاملة لذلك أخذت علة عاتقها مهمة تحرر العمال من سلطة أصحاب رأس المال لذلك تدعو إلى العمل "على تكوين أفكار جديدة تحمل في طياتها الثقة وتخلو من اليأس، تدعو إلى الن ضال ولا تشير إلى الا ستسلام. وليست تلك مسألة ثانوية بالنسبة للعمال، بل هي مـ سألة حياة أو موت لأنهم لن يتحرروا من الاضطهاد الطبقي إلا إذا كانت لديهم فكرة عن العالم تمكنهم من تغييره فعلًا" (بوليتزر، ب. ت، الـ صفحات ١١-١٢). إذ يرى ماركس أن المظاهر أو المفاهيم التي نتجت عن سيطرة الطبقة البرجوازيّة مظاهر اجتماعيّة واقتـ صاديّة ومنها تحول الا ستلاب إلى ممار سة عادية، و سادت مظاهر الاغتراب والتـ شيؤ والتـ سليع والـ ضياع والبؤس فأنَّها تـ شكل الوعيّ الثوريّ للطبقة العاملة؛ بو صفها الطبقة التي يمكن من خلالها أن تحدث الثورة في داخل المجتمع الرأسماليّ (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، الصفحات ٤٧٦-٤٧٧). يأخذ ماركيوز من ماركس فكرته بشأن صراع الطبقات فيقول في كتابه ((الإنسان ذو البعد الواحد)): "والبرجوازية والبروليتاريا ما تزالان إلى اليوم الطبقتين الرئيـ سيتين في العالم الرأسمالي" (ماركوز ه.، ١٩٨٨، صفحة ٢٩).

وإ ما **الأثر الفرو يدي** فيظهر من خلال علم النفس؛ إذ يـ ستعين ماركيوز بنظرية التحليل النف سيّ لفرويد، فعلى الرغم من تأثره بماركس إلا أنهُ ينتقده؛ وذلك لأنهُ يرى أن ماركس يؤكد على الجانب الاقتصاديّ والاجتماعيّ ويهمل الجانب النف سيّ وذلك لأن الإن سان عند ماركس يتبنى ذلك الإن سان العامل المنتج، وليس الإنسان الحيّ بغرائزه وإرادته ورغبته في الحب (عواضة، ٢٠٠٩، صفحة ٤٣). فماركيوز لا يبحث في أفكار فرويد، إنما يتعمق في طرائق التحليل النف سيّ لذلك فإنهُ يركز على كتابات فرويد التي تحمل الطابع الحـ ضاريّ والفلـ سفيّ، إذ يعرض فرويد فكرة الإيروس "بو صفه الطاقة التي تكمن في أ صل كل حـ ضارة. وذلك لأن نمو الفرد؛ أي انتقاله من الأنانية إلى الغيرية، وكذلك نمو الإنسانيّة، يفترض مقدمًا عامل الحب، سواء في صورته الجن سية المبا شرة، أو صورته المتـ سامية المحوَّرة. فنمو الفرد يتحقق حين يعمل الطفل حـ سابًا للواقع وينظم سلوكه على أ سا سه، بعد أن كان يبحث عن إ شباعه المباشر ثم إدراك ما يضعه العالم أمام هذا الإشباع المباشر

من عقبات. ونمو المجتمع يتم بإعلاء مماثل للطاقة التي لا تستطيع التعبير عن نفسها مباشرة، بل تتخذ لنفسها تعبيرات غير مبا شرة، تتمثل في المبادئ الأخلاقية والمدينية، وفي التعبير الفني والأدبي" (زكريا، هربرت ماركيوز، ٢٠٢٠، صفحة ٤٢).

يوظف ماركيوز مقولات فرويد وذلك للكـ شف عن الطابع التحرريّ الـ سالب للغرائز الجنـ سيّة المتمثل بالجانب النقديّ عن الإنـ سان المذي يعد من أعنف الاتهامات التي توجه نحو الحـ ضارة الغربيّة إذ يرى فرويد أن تاريخ الإنـ سان يمثل تاريخ قمعه؛ من جهة تمارس الحـ ضارة قهر ها على الوجود الاجتماعيّ والبيولوجيّ للإنـ سان، ومن جهة أخرى تقيد الوجود الخاص بالنـ سبة للغريزة ذاتها، إلا أن ماركيوز لم يوافق قول فرويد بأن القمع يعد من شروط قيام الحضارة؛ لأنه يرى أن الثمن المذي يدفعه الإنـ سان في مقابل هذه الحـ ضارة لا يقارن، لذلك أخذ ماركيوز إلى القول بفكرة وجود حضارة لا قمعيّة (حسن ح.، ١٩٩٣، الصفحات ١٣٣-١٣٤). إن الحـ ضارة تفرض على الإنـ سان أنواع مختلفة من القهر؛ وذلك لأن جوهر التحـ ضر يكمن في تغيير طبيعة الإنسان الأ صلية ويطرح مبدأ اللذة بـ صورة مبا شرة من أجل الخـ ضوع للأمر الواقع، وكلما نمت الحضارة ينتصر مبدأ الواقع على حساب مبدأ اللذة ويتم التحكم في الغرائز الطبيعيّة من خلال الأنظمة والقوانين، ولكن على الرغم من ذلك فأن اللذة لا تختفي بـ صورة نهائية وإنما تظهر بـ صورة غير مبا شرة من خلال الحلم والفن والخيال، فمن خلال هذه الـ صور يخرج المكبوت، لذا يـ صبح الكبت الثمن الذي يدفعه الإنـ سان في مقابل تقدمه الحـ ضاريّ (زكريا، هربرت ماركيوز، ٢٠٢٠، صفحة ٤٢). يذهب ماركيوز إلى التمييز بين نوعين من الكبت هما:

**الأول:** هو كبت أ سا سي تحتمه الـ ضرورة البيولوجية لا ستمرار الجنس البـ شري، فلا بد من وجود قيود ضرورية لحماية الحياة نفسها واستمرارها.

**الـ ثاني:** هو الكـ بت الـ فائض، وهو ناتج عن قيود وإرغامات مضافة إلى تلك الضرورية الطبيعية وهي ليست إلا انعكا سًا لأ شكال الـ سيطرة الاجتماعية ونظمها ومـ صالحها عبر التاريخ، وهي التي يـ شدد ماركيوز على ضرورة تخليص الحـ ضارة منها إذا ما أراد الإنـ سان أن يعيش منـ سجمًا مع طبيعته الحيوية (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٣، صفحة ٧٦٢).

يبين ماركيوز أن هذه الحـ ضارة وبـ سبب التقدم التكنولوجيّ فإنها تـ سمح بقيام مجتمع "لا يلجأ إلى الكبت والقهر إذ أ صبحت إمكانية ا ستمتاع الإنـ سان بحياته الغريزية دون التخلي عن الجوانب العقلية ممكنة جدًا، فقد أ صبح الإنـ سان قادرًا على أن يـ شيد عالمًا

مزدهرًا يتخلص فيه من العمل القاهر ويكتفي بعمل أشبه باللهو أو اللعب لكي يتفرغ للاستمتاع بغرائزه الطبيعية، وعلى مستوى تتجه له الحياة الحديثة"، وعلى هذا الأساس يرسم ماركيوز صورة لحضارة غير قمعية يتحول فيها العمل الجاد إلى عمل غير مجهد (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٣، صفحة ٧٦٣).

**المحور الثاني: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز**

**أولًا: مفهوم النظرية النقدية عند ماركيوز**

إن أهم ما تتسم به النظرية النقدية أنها نظرية ثوريّة؛ لأنها "تريد أن تكون بديلًا عن النظرية التقليدية التي تقرُّ الواقع القائم بحكم موقفها النظري وأسلوبها في التفكير؛ ولذلك يوجه أصحاب النظرية انتقاداتهم الحادَّة للاتجاهات الفلسفية الأخرى،...، ومناهج التفكير العلمي المُتفق عليها، وأوضاع المجتمع الصناعي الذي يسلطُون عليه النقد الجِذْريَّ" (مكاوي، ٢٠١٧، صفحة ٢٤). تركز النظرية النقدية عند اعضاء مدرسة فرانكفورت ومنهم ماركيوز على نقد مفهوميّ الاغتراب والتشيؤ؛ وذلك لأن الاغتراب يرتبط بالجانب النفسيّ للعامل وتقسيم العمل، وإما التشيؤ فأنه يرتبط بطريقة المعاملة للأشخاص بوصفهم أشياء (برونر، ٢٠١٦، صفحة ١١).

أما مصطلح النظرية النقدية عند ماركيوز فيشير إلى الطريقة التي يستعملها في توظيف النظرية الماركسيّة؛ فنظريته النقدية تقوم على الجدل ونقد الاقتصاد السياسيّ، فضلًا عن ذلك فإنهُ يحدد نظريته بأنها "نظرية اجتماعيّة تزعم تحليل المجتمعات القائمة في ضوء وظائفها وإمكاناتها وتحدد الاتجاهات الممكنة التي يمكنها أن تقود إلى ما وراء الحالة الراهنة للأمور" (حسن ح.، ١٩٩٣، الصفحات ١٢٣-١٢٤). يقول ماركيوز في كتابه ((فلسفات النفي)): "منذ البداية والنظرية النقدية للمجتمع متضمنة دومًا في المشكلات والمجادلات الفلسفية وكذلك الاجتماعية" (ماركوز، ٢٠١٢، صفحة ١٤٣). إذ يؤسس ماركيوز النظرية النقدية من خلال رؤيته للنظرية العقلانيّة الاجتماعيّة بوصفها نظرية نقدية في جوهرها؛ وذلك لأنها تخضع للنقد العمليّ والنظريّ وبطريقة إيجابية وسلبية في الوقت نفسه، وعليه يذهب ماركيوز إلى تقسيم محركات النقد إلى قسمين هما:

**الأول:** الموقف المتكون لدى الإنسان باعتباره حاملًا للعقل عضويًا. أي إنه يمتلك القدرة على التمييز وأن يشكل وجوده بحرية. اعتمادًا على سعادته الدنيويّة.

**الثاني:** الموقف والمستوى الذي يتحصل عليه الفرد من خلال تطور قوى الإنتاج وعلاقاته مطابقة أو صراعًا فيما

بينها، وذلك لكونها معيارًا لعملية بناء العقلانية التي يقوم بها الإنسان باتجاه المجتمع (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ٣٦).

فضلًا عن ذلك يرى ماركيوز أن "مهمة الفلسفة إنما تنحصر في صون الحقيقة من الضياع، والإهابة بالعقل على أنه الأصيل المقابل للواقع اللاإنساني الزائف، أمّا مهمة تغيير الواقع فليست مهمة فلسفية، بل مهمة سياسية. فالاحتجاج العقلاني المثالي الذي تمارسه الفلسفة يظلُّ مثاليًا ولا يصل إلى جذر الظروف المادية للوجود، أمّا الاحتجاج المادي الحقيقي فذلك الذي تمارسه الجماعات المضطهدة في كفاحها ونضالها من أجل ظروف حياتية أفضل" (زكريا، ١٩٧٨، صفحة ١٢٦). إذْ ينتقد ماركيوز العلم وتعامله مع المثاليات أو العلم الشموليّ التقليديّ، ويرى أن الفلسفة تستطيع أن تكشف الزيف وتوجه المال نحو انحراف طريق المجتمعات وضياعها في مفاهيم التشيؤ والهيمنة التقنيّة (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، الصفحات ٣٦-٣٧). يشير ماركيوز قائلًا إن "المهمة الوحيدة المتروكة للفلسفة هي تطوير أشد نتائج العلوم عمومية. وهي أيضًا تأخذ كأساس لنظرتها أن العلم قد أظهر على نحو كاف قدرته على خدمة تطور قوى الإنتاج وإتاحة إمكانات جديدة لوجود أغنى"، نظرًا لذلك حمّل تحالف العلم مع الفلسفة الأخطاء التي ولدتها تبعية العلوم لعلاقات السيادة، فالنظرية النقدية في المجتمع تفترض ابتعاد العلم من هذا النظام، إلا أن ذلك لا يعني اعفاء النظرية من النقد، أي نقد الأهداف والمناهج العلميّة التي تدخل في كل موقف اجتماعيّ جديد ( ماركوز، ٢٠١٢، صفحة١٦٣).

على الرغم من تطور العلوم وما قدمه العلم من خدمة للواقع إلا أن ماركيوز يرى أن "التنبؤية العلمية لا تتطابق مع الحالة المستقبلية التي توجد فيها الحقيقة، وحتى تطور قوى الإنتاج وتطور التكنولوجيا لا يعرفان آية تقدمية متقطعة من المجتمع القديم إلى المجتمع الجديد، والإنسان نفسه عليه أن يحدد هذا التقدم... ولما كان مستقبل العلم والتكنولوجيا متوقفًا عليهم، فإن العلم والتكنولوجيا لا يصلحان قبليًا كأنموذج تصوري للنظرية النقدية" (ماركوز، ١٩٧١، صفحة ١٦٨). يذكر ماركيوز بأن النظرية النقديّة تُعد "نظرية لنفسها وللقوى الاجتماعية التي تشكل أساسها، إن العنصر الفلسفي في النظرية هو شكل من الاحتجاج ضد ''النزعة الاقتصادية'' الجديدة التي قد تعزل الصراع الاقتصادي وتفصل المجال الاقتصادي عن المجال السياسي" (ماركوز، ٢٠١٢، الصفحة ١٦٤).

يبين ماركيوز بأنه ينتمي إلى مذهب ماركس الفلسفيّ إذ أنه يتفق مع ماركس في فكرة التغيير والثورة،

لكنهما يختلفان في نتائج التي ت صل إليها الثورات، فالثورة عند ماركس صراع طبقيّ بين الطبقة البرجوازيّة والطبقة البروليتاريّة، إذ يت صارع هؤلاء ب شأن ملكيّة وسائل الإنتاج فتحدث الثورة التي تقودها البروليتاريا أو اليد العاملة بو صفها العامل المحرك للتاريخ، وإما الثورة عند ماركيوز إنها اتخذت طريقٌ مغاير للثورة الماركسيّة ويرى أن الصراع ليس أساس الثورة ولا يؤدي إلى التغيير في بنية المجتمع؛ نظرًا لما تقدمه الرأسماليّة من خدع وأوهام مختلفة لأ صحاب اليد العاملة ونتيجة لذلك عطلت الطبيعة الثوريّة لهذه الطبقة بسبب اندماجها مع الرأسماليّة (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١١٤). إنّ التطور في المجتمعات الصناعيّة المعاصرة ساعد في تهديم التفكير النقديّ وذلك من خلال "منظومة كاملة للسيطرة والهيمنة قوامها التقنية، حيث يتم إزالة الفوارق بين القوى المتناقضة في المجتمع،...، وجرى التظليل على الصراع التاريخي بين الطبقة العاملة ورأس المال" (قاسم، ٢٠١٣، الصفحات ١٧–١٨).

يبين ماركيوز رأيه ب شأن المجتمعات الرأسماليّة فيقول: "إنها لمدعارة، من جانب هذا المجتمع، أن ينتج ويعرض كمية خانقة من البضائع، بينما ضحاياه يجدون أنفسهم محرومين من القوت الضروري، أو يصاب بالتخمة، ويتخم المزابل من بعد ببقايا الأطعمة، بينما هو يتلف أو يسمم السلع النادرة القابلة لأن يأكلها المعدمون. إن يجتمع الوفرة العاهر في مخاطباته، في ابتساماته، في سيماسيبه وخطبائه، في صلواته، في جهله، في حكمة مثقفيه المزيفة التي يحافظ عليها" (ماركيوز، ١٩٧١، صفحة ٢٤).

يشير ماركيوز قائلًا: "وكانت الطبقتان الكبريان المتواجهتان، البرجوازية والبروليتاريا، قد وعتا هذا المدور التاريخي للنظرية وراحتا تستخدمانها في عملهما السياسي، والبرجوازية والبروليتاريا ما تزالان إلى اليوم الطبقتين الرئيسيتين في العالم الرأسمالي. ولكن تطور هذا العالم قد شوه بنيتهما ووظيفتهما إلى حد أنهما ما عادتا تبدوان من وجهة نظر التاريخ عامل التحول الاجتماعي" (ماركوز، ١٩٨٨، صفحة ٢٩). إذ يرى أن الطبقة العاملة تمثل العامل الأساسيّ للثورة على مر التاريخ وذلك "بحكم موقعها المركزي في سير عملية الإنتاج، بأهميتها العادية، بعبء الاستغلال الذي تتحمله، ولكنها أصبحت، لمجرد مشاركتها في الحاجات التي توطد للنظام استقراره، قوة محافظة وحتى مضادة للثورية... إن المجتمع في البلدان الرأسمالية المتقدمة، ليعارض كل تجذير للطبقات العاملة، وذلك بإحداث شللٍ في وعي المستغلين، والاستمرار في تنمية الحاجات التي تؤبّد عبوديتهم، وتلبيها. وبهذا، تلج البنيان الغريزي لدى المستغلين، مصلحةُ مالكِ تجاه النظام القائم، بحيث لا يكون ثمة

سبيل إلى حدوث انقطاع في ا ستمرار القمع" (ماركيوز، ١٩٧١، الصفحات ٣٦–٣٧).

ويكمن سبب ضعف البروليتاريا وموقفها الـ سلبيّ في القيام بالثورة في التقنيّة والتنظيم التكنولوجيّ للإن تاج " فالهيـ نة تتلبس مظهرًا إدار يًا. والملاك الرأسماليون ينتجون عن وظائفهم كوكلاء مـ سؤولين... ويلبس الـ ستغلين الحقيقيين طاقية الاخفاء وراء واجهة المو ضوعية العقلانية، وهكذا يمـ سي الحقد والحرمان بلا هدف يتوجـ هان إلـ يه، ويحـ جب القـ ناع التكنولوجي العبودية واللامـ ساواة" (ماركوز، ١٩٨٨، صفحة ٦٧). لذلك تخلق التقنيّة "نوع من الوهم بالعقلانية وتغيب بدورها كل أوجه الأ سطورة التي تتـ ضمنها وتحميها وتدافع عنها. وكل ذلك بـ سبب تطور الرأسمالية وأ صبح بوسعها إنتاج عدداً من الوسائل والأدوات لخلق الارتياح بدرجة أكثر مما سبق... لذلك قد تصبح فكرة الثورة عل الرأسمالية هي ثورة على الإن سان نفـ سه أو على الأغلبية من البـ شرية لأنهم أ صبحوا جزءاً منها،...، فتحولت التقنية من محررة للإن سان إل طريقة لتحويله إلى شيء وأداة وأ صبح مع ذلك عقبة في سبيل التحرر" (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، الصفحات ٣٧–٣٨). فالتكنولوجيا تعد سيا سة قبل أن تكون أي شيء آخر؛ وذلك لأن منهج التكنولوجيا يتـ سم بالـ سيطرة، لذلك أ صبح التقدم التقنيّ أداة تحكم الفرد والمجتمع وتحرمه من حريته وتحوله إلى كائن مستهلك بالدرجة الأولى (عبد الكريم و مساهر، ٢٠١٨، صفحة ١٣٧). وفي هذا الـ صدد يذكر ماركيوز قائلًا: "لم تعد المـ سألة: كيف يـ ستطيع الفرد أن يؤمن حاجاته من غير أن يلحق ضرراً بغيره؟ بل أ صبحت: كيف يستطيع ذلك من دون أن يضر بنفسه، أي دون أن يحدث، بتطلعا ته و تأمين حا جا ته، تبعية لجـ هاز الا ستغلال؟ ما دام هذا الأخير لا يؤمن حاجاته أيـ ضًا، إلا بأن يحافظ أكثر فأكثر، على عبوديته" (ماركيوز، ١٩٨١، الصفحات ١٨–١٩).

يرى ماركيوز أن الرأسماليّة المعا صرة توفر كل البـ ضائع والـ سلع التي حرم منها الفرد وتحولها إلى أداة لإ شباع حاجاته، فالإنسان يتعرف على نفسه من خلال البـ ضائع والـ سيارات والأجهزة المنزليّة الحديثة، وهذه المنتـ جات أ خذت تعـ مل على تكيف الأفراد على وفق طراز الحياة الجديدة، في المقابل يمتنع الأفراد من القيام بالثورة ضد كل تغير نوعيّ (ماركوز، ١٩٨٨، الصفحات ٤٥–٤٨). ويـ ضيف قائلًا: " ليس للـ سيارة ذاتها، ولا للتلفزيون، ولا لأدوات المنزل، من وظيفة قمع، ولكنها بمقدار ما هي مُنتجةٌ حـ سب قوانين الربح التجاري، ولا شيء سواه، أ صبحت جزءاً لا يتجزأ من كيان الأفراد، من (( سيرتهم اليومية))، على نحو غدا معه الأفراد مكرهين على التحـ صيل بالـ شراء، جزءاً لا يتجزأ من

وجودهم، وغدا هذا الوجود نفسه أحد منجزات رأس المال" (ماركيوز، ١٩٧١، صفحة ٣٠).

يقول ماركيوز: "ما دامت البروليتاريا غير ناضجة لتحررها الذاتي، فأن غالبية البروليتاريا سترى في النظام الاجتماعي القائم، النظام الممكن الوحيد وستشكل سياسيًا ((ذيل الطبقة البرجوازية، وجناحها الأيسر المتطرف))"، وذلك من خلال تعاون الرأسماليين مع النقابات العماليّة؛ إذ أن عمل هذه النقابات يكمن في تنظيم مجموعة من العمال والفنيين إلا أنها لم تطور لديهم سوى الوعيّ النقابيّ الذي بدوره لا يرتفع بهم إلى مستوى الموقف السياسيّ، وبناءً على ذلك يبين ماركيوز أن البروليتاريا لا يمكن أن تكون الطبقة التي تحدث الثورة؛ وذلك لأن الرأسماليّة المعاصرة أظهرت التعاون الطبقيّ بدلًا من الصراع الطبقيّ، وعليه صارت هذه الطبقة من عناصر تقدم النظام الرأسماليّ (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١٢٥).

يشير ماركيوز إلى أن سبب سيطرة الرأسماليّة على كل مجالات الإنسان يرجع إلى الإنتاج المستمر والاستغلال التجاريّ اللذين يجعلان من الرأسماليّة على قيد الحياة مما أدى ذلك إلى قمع كل محاولة تدعو إلى المعارضة من قبل "الشرطة والمحاكم، بممثلي الشعب، بالشعب نفسه، ولم يبق في الساحة سوى تمرد الشبيبة والطبقة المثقفة المنبثق في مختلف الصفوف، والكفاح اليومي الذي تخوضه الأقليات المضطهدة" (ماركيوز، ١٩٧١، صفحة ٢٣). على الرغم من نظرة ماركيوز السلبية تجاه قيام الثورة إلا أنه لم يفقد الأمل بصورة نهائية في قيام ثورة؛ إذْ يرى أن هناك قوى ممهدة للثورة تستطيع في الوقت نفسه إيقاظ الطبقة العاملة من سباتها، وتتمثل هذه الطبقة بأدنى الطبقات الاجتماعية في المجتمعات (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١٢٦). يقول ماركيوز: "ولكن ما تزال هناك، تحت الطبقات الشعبية المحافظة، طبقة المنبوذين و((اللامنتمين))، والعروق الأخرى، والألوان الأخرى، والطبقات المستغَلَّة والمضطَهدة، والعاطلون عن العمل والعاجزون عنه. أن هؤلاء الناس يقفزون خارج الصيرورة المديموقراطية، وحياتهم تعبر عن الحاجة الملحة والمباشرة والواقعية إلى وضع حد للشروط والمؤسسات التي لا تطاق أو تحتمل. وعلى هذا فأن معارضتهم ثورية حتى وان لم يكن وعيهم ثوريًا" (ماركوز، ١٩٨٨، الصفحات ٢٦٦-٢٦٧). ونظرًا لأن كلُّ هذه الفئات محرومة من الامتيازات والخدمات التي توفرها الرأسماليّة المعاصرة فلا بدّ من ضرورة استبعادهم من طبقات المجتمع الرأسماليّ (قاسم، ٢٠١٣، صفحة ٢١)؛ ويؤدي ذلك إلى حدوث فجوة كبيرة في الاستهلاك بين هؤلاء وطبقات المجتمع الأخرى؛ وذلك لأن الرأسمالية تعجز عن الوصول إليهم،

لذا فأن الذظام المذي يمارس الهيذمة على الناس من خلاله يـ صبح غير فعال (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١٢٦).

فضلًا عن ذلك يـ شير ماركيوز إلى طبقة أخرى تتمثل بالحركات الطلابيّة اليـ ساريّة إذ يرى أن "حركة أولئك الـ شباب المُتمردين ستكون طليعةَ التَّغير التاريخي الحا سم، ورمز القوة الـ سيا سية التي سَتحرر المجتمع الـ صناعي المتقدم وتقاوم عقلانيته المُصطنعة مقاومة نقديَّة مُدمرة" (مكاوي، ٢٠١٧، صفحة ٦٣). فقد وجد ماركيوز في هذه الطبقات القوى التي تحدد "طريق الارتفاع بغرائز الحياة عن الغرائز العدوانية، وتحقق ""الرفض العظيم"" الذي يمكن من خلاله تحرير الإنسان من العقلانية التكنولوجية الاداتية. وهيمنة (مبدأ المردود) المنظم للمجتمع الطبقي، نحو إعادة إنتاج الحضارة وفق أسس جديدة" (قاسم، ٢٠١٣، صفحة ٢٢).

**ثانيًا: الجمال والفن بوصفهما وسيلتين للتحرر الفكريّ**

على الرغم من سيادة العقلانيّة الأداتيّة والتكنولوجيّة في المجتمعات الغربيّة المعاصرة إلا أن الإنسان في ظل هذه المجتمعات يعاني من التناقضات التي انتجتها الحضارة الماديّة وشيدها بإرادته وذلك من أجل السيطرة على الطبيعة، والتي انعكست بـ صورة سلبيّة على مجالات الحياة الإنسانيّة إذْ أصبح الفرد يـ شعر بالاغتراب في عالم الوفرة يفتقد لكل صور النقد والرفض لذلك يظهر السؤال المحوريّ الآتي: ما هي الصورة التي رسمها ماركيوز كأداة للتحرر من سيطرة العلم والتقنيّة؟ (ذهبية، ٢٠١٨، صفحة ٢٤٠). يقول ماركيوز في كتابه ((البعد الجمالي)): "في وضع لا سبيل إلى تغير واقعه المحزن إلا بممارسة سياسة جذرية، لا مناص للمرء من أن يبرر اهتمامه بعلم الجمال، ومن العبث محاولة إنكار عنصر اليأس الملازم لمثل هذا الاهتمام، وهو عنصر يكمن في الالتجاء إلى عالم وهمي لا يطرأ فيه تغير على الوضع القائم إلا على صعيد الخيال،...، ويبدو أن الفن من حيث هو فن، فأنه يعبر عن حقيقة، عن تجربة، عن حاجة آسرة، وكلها عوامل أساسية في سبيل الثورة" (ماركوز، ١٩٧٩، صفحة ١٢).

يبين ماركيوز أن الثورة التي تقوم بها الفئات الشبابية والمُهمشة الضعيفة فأنها "تطالب قبل كل شيء في عملها السياسي، بالاعتراف بقيمة الخيال وحقيقته. وحركتها برمتها إنما تطور أشكالاً سريالية من الاحتجاج والرفض، وربما كان هذا التطور، الطفيف بمعناه ظاهراً، علامة تغير أساسي في الوضع؛ والاحتجاج السياسي، بسمته الشاملة التي يتلبس بها، يمتد إلى بُعد ظل حتى ذلك اليوم، في جوهره غير ذي صفة سياسية بمقدار ما هو بعدٌ جمالي" (ماركيوز، ١٩٧١، الصفحة ٥٧).

يبين ماركيوز أن معالجة الأزمة التي نـ شأت بـ سبب الرأسماليّة تكمن في الجمال إذ يقول: "يمكن أن يفيدنا البعد الجمالي... في تخمين ما يكون عليه مجتمع حر، ففي عالم تكفُّ الـ صلات الإنـ سانية عن أن تكون الوسائط فيها بعد، علاقات تجارية، ولا تكون بعدُ قائمة على الا ستغلال، أو التنافس أو الإرهاب، يجب أن تكون الحـ سا سية متحررة من جميع المـ سرات القمعية في المجتمعات المـ ستعبدة، وأن يكون في و سعها التطلع إلى أ شكال من الواقع ووجوه لم تكن حتى اليوم مو ضوعاً إلا للتـ صور الجمالي. وذلك لأن الحاجات الجمالية ذات محتوى السمو" (ماركيوز، ١٩٧١، الصفحات ٥٣-٥٤).

يرجع سبب اهتمام ماركيوز بالفن إلى أهميته، ودوره الفعال في تحرير الإنـ سان من قمع الرأسماليّة، إذْ يبدأ بنقد كل ما هو سائد ولا سيما النظريّة الماركـ سيّة التقليديّة التي □من وجهة نظر ماركيوز- لا تـ ساعد في تحرير الإنـ سان من الواقع القمعيّ الذي يعيـ شه وذلك بسبب سيطرة التشيؤ على الإنسان مما يؤدي إلى ضعف الوظيـ فة الجـ مالـ يّة والمعرفـ يّة للفن (مجمو عة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١٣٣).

يتبلور جوهر الفن في الـ صورة الجماليّة؛ إذْ من خلال هذه الـ صورة يـ ستطيع الفن أن يعبر عن الوظيفة الـ سيا سيّة للفن ووظيفته الجماليّة الخالـ صة، ويرى ماركيوز أنَّ وظيفة الفن الـ سيا سية لا تعني أن يخـ ضع الفن للدعاية الـ سيا سيّة ورجال الـ سيا سة وإنما تكمن مهمته في دفع الطريق الـ سيا سيّ الجيد وتعمل على رـ سم صورة جديدة للمجتمع من أجل تحرير الإنـ سان من سيطرة التـ شيؤ وجميع صور الا ستغلال، ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا عندما يـ ستقل الفن عن الواقع المعاش وجميع انواع العلاقات الاجتماعيّة التي تكون تـ شكّل عقبة أ مام كل تغيير جذريّ للمجتمع وتمنع من طريق التجديد، ولا يعني ماركيوز با ستقلال الفن عن الواقع "عدم الاهتمام بقـ ضايا الإنـ سان الـ سيا سية والاجتماعية، بل تعني أن الفن يجب ألا يـ صبح أداة لـ لد عا ية الـ سيا سية، ويعطي فر صة للمـ ستقبل، ولما يجب أن يكون، ليتحقق بفضل حـ سيّة الإنـ سان الجديدة ومخيّلته المبدعة. لأن كل تقيّد بالواقع، مهما كان نوعه، قد لا يترك الفرصة للحسيّة وللمخيّلة أن تسهما في تغير الواقع القمعي الـ سائد" (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، الـ صفحات ١٣٤-١٣٥).

من خلال هذه الا ستقلاليّة يـ ستطيع الفن أن يؤدي دوره الخلّاق وأن يعارض الأو ضاع الـ سائدة، فالاستقلاليّة بوصفها أداة للتحرر لا تعني رفض الالتزام، وإنما تمتلك صورة خا صة بها؛ ذلك لأن "الـ شكل الجمالي هو ذلك الـ شيء الذي ينتج عن مو ضوع ما، بعد تغييره، وجعله و حدة كلية قائمة بذاتها" (مجموعة

مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١٣٥). يعمل الالتزام على إعادة الاعتبار للذاتيّة التي تحمل في داخلها طاقة التغيير الثوري و"يمنعها من التشبث بواقع ما، حتى ولو كان ذلك الواقع يخدم الإنسان، فالمطلوب هو تجاوز الواقع، بفضل العمل الفني، باعتباره عملًا خلاقًا لا يكتفي بالواقع الراهن، ولا يتم ذلك الشيء إلا بفضل وظيفة الذاتية الخلاقة، التي تعتبر من المكونات الأساسية للشكل الجمالي وكضمان لاستقلالية الفن كفن" (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، صفحة ١٣٦). يشير ماركيوز قائلًا: "يجب أن لا يفهم الفن بعد على أنه وهمي، لأن علاقته بالواقع تغيرت: الواقع منذ الآن فصاعداً منفتح، لا بل خاضع لوظيفة الفن التحويلية. والثورات التي تلت الحرب (وغالباً ما منيت بالخيانة أو الهزيمة من بعد) كانت تنهض ضدّ واقع الفن إلى وهم لا أكثر بمقدار ما كان الفن وهو ما (Schoner Schein راح الفن الجديد يعلن عن نفسه أنه نقيض الفن. وكان الفن الوهمي عدا ذلك، يدمج في كيانه بسذاجة، طرازه في التمثيل والأفكار القائمة حول مفهوم الملكية... وما كان ليشك بسمة الشيئية... لعالم أخضع للإنسان. يجب على الفن أن يقطع صلته بهذه المحاولة في جعله واقعاً: يجب أن يتحول إلى تصوير،...، أو إلى معرفة نقدية" (ماركيوز، ١٩٧١، الصفحات ٧٣-٧٤).

يشير ماركيوز إلى أن الفن يعدُ "تعبير عن طموحات وتمنيات الإنسان المكبوتة، والمقموعة، في الوضع المهيمن... فمهمة الوظيفة الفنية هو العمل على تصعيد الواقع الفوري، لكي يصبح معبّرا عن الطموحات الإنسانية غير القمعية؛ لأن أهمية التصعيد الإستيتيكي هو التمكّن من إبراز الوظيفة الاجتماعية السائدة، ورسم بعدًا جديدًا تسوده الذاتية الثائرة على الأوضاع المزرية. وهكذا... تبرز حالة غير تصعيدية في مشاعر الفرد، وأفكاره، وأحكامه. لأن أساس التصعيد هو الابتعاد عن الشيئية والواقع القمعي" (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٢، الصفحات ١٣٧-١٣٨).

**خاتمة:**

قدمت هذه الدراسة عرضاً تحليليًّا لمفهوم النظرية النقدية عند ماركيوز التي تمثل انعطافة مهمة للفلسفة بصورة عامة والفلسفة الألمانيّة بصورة خاصة؛ وذلك لأن النظرية النقدية تعد من نتاجات العصر، لما تحتويه من مفاهيم وأفكار فلسفيّة بنيت على النقد ـــــ نقد الواقع ـ ـ ـ ـ ـ ـ ومواقف سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، ويمكن أن نوجز نتائج البحث على النحو الآتي:

١. حضور الفكر الهيغليّ والماركسيّ والفرويديّ في فلسفة ماركيوز؛ ويتمثل هذا الحضور من خلال تأثر

ماركيوز بفكرة الجدل والسلب الهيغليّ، وأما ماركس فأخذ منه فكرة الصراع الطبقي في داخل المجتمع، وأخذ عن فرويد فكرة التحليل النفسيّ.

٢. تركز النظرية النقدية عند ماركيوز على نقد مفهومي الاغتراب والتشيؤ، فضلًا عن أنها نظرية سياسية واجتماعية تسعى إلى تحليل المجتمعات القائمة في ضوء وظائفها وإمكاناتها وتحدد الاتجاهات الممكنة التي يمكنها أن تقود إلى ما وراء الحالة الراهنة للأمور.

٣. ينتقد ماركيوز العلم وتعامله مع المثاليات؛ فعلى الرغم من التقدم الكبير الذي يقدمه العلم للواقع من خدمات إلا أن هذا التقدم أصبح حاجز يعرقل قيام الثورة.

٤. على الرغم من أن ماركيوز يعطي للفلسفة مهمة كشف الزيف وصون الحقيقة من الضياع، إلا أن مهمة التغيير ليست مهمة فلسفية بحت وإنما هي أيضًا مهمة اجتماعيّة–سياسيّة.

٥. يتفق ماركيوز مع ماركس في فكرة التغيير والثورة لكنهما يختلفان في النتائج التي توصل إليها هذه الثورات، فالثورة عند ماركس صراع طبقيّ بين الطبقة البرجوازيّة والطبقة البروليتاريّة، وأما الثورة عند ماركيوز فإنها اتخذت طريقٌ مغاير ويرى أن الصراع ليس أساس الثورة ولا يؤدي إلى التغيير في بنية المجتمع؛ نظرًا لما تقدمه الرأسماليّة من خدع وأوهام مختلفة لأصحاب اليد العاملة ونتيجة لذلك عطلت الطبيعة الثوريّة لهذه الطبقة بسبب اندماجها مع الرأسماليّة.

٦. لم يفقد ماركيوز الأمل في قيام الثورة؛ إذْ يرى أن هناك قوى ممهدة للثورة تستطيع في الوقت نفسه إيقاظ الطبقة العاملة من سباتها، وتتمثل هذه الطبقات بأدنى الطبقات الاجتماعية في المجتمع والحركات الطلابيّة اليساريّة.

٧. إن الصورة التي رسمها ماركيوز كأداة للتحرر من سيطرة العلم والتقنيّة تكمن في الجمال والفن.

٨. إن معالجة الأزمة التي خلقتها الرأسماليّة تكمن في الجمال؛ لأنه يساعد في تخمين ما يكون عليه مجتمع حر.

٩. وأما جوهر الفن فيتبلور في الصورة الجماليّة؛ إذْ من خلال هذه الصورة يستطيع الفن أن يعبر عن الوظيفة السياسيّة للفن ووظيفته الجماليّة الخالصة.

١٠. يرى ماركيوز أن الفن يعبر عن طموحات وتمنيات الإنسان المكبوتة والمقموعة؛ فوظيفة الفن تكمن في العمل على تصعيد الواقع الراهن معبّراً عن الطموحات الإنسانية غير القمعية.

## المصادر والمراجع


١. أ سعد عبد الوهاب عبد الكريم، و حمد، وليد م ساهر. (٢٠١٨). الأفكار ال سيا سية لدى ماركيوز و هابر ماس. *مجلة تكر يت للعلوم السياسية العدد١٤*.

٢. ال سدير ماكنتير. (١٩٧٢). *ماركوز*. (عدنان كيالي، المترجمون) بيروت: المؤ سسة العربية للدراسات والنشر.

٣. توم بوتومور. (٢٠٠٤). *مدر سة فرانكفورت*. ( سعد هجرس، المترجمون) طرابلس: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية.

٤. جورج وآخرون بوليتزر. (ب. ت). *أ صول الفل سفة الماركـ سية*. ( شعبان بركات، المترجمون) بيروت: منـ شورات المكتـ بة العصرية.

٥. جعروم ذهبية. (٢٠١٨). من فل سفة الرفض لمنطق العقل الأداتي نحو فل سفة جمالية عند هربرت ماركيوز. *مجلة الحكمة للدرا سات الفلسفية المجلده، العدد ١٣*.

٦. حسن محمد حسن. (١٩٩٣). *النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز*. بيروت: دار التنوير.

٧. حنان علي عوا ضة. (٢٠٠٩). *م شكلة العمل وحـ ضارة الإيروس في فل سفة هربرت ماركيوز*. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

٨. خ ضر دهو قا سم. (٢٠١٣). موجز في النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز. *مجلة الفل سفة العدد العاشر*.

٩. ستيفن أر يك برونر. (٢٠١٦). *النظر ية النقدية: مقدمة قـ صيرة جدًا*. ( سارة عادل، المترجمون) مـ صر: مؤ سـ سة هنداوي للتعليم والثقافة.

١٠. عبد الغفار مكاوي. (٢٠١٧). *النظرية النقدية لمدر سة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.

١١. عبد الكريم وآخرون فـ ضيلة. (٢٠٢٢). الثقافة الرفعية وإتيقا الواقع القائم في النظرية النقدية عـ ند هاربرت ماركيوز. *مجـ لة الـ با حث، العدد١٠*.

١٢. علي عبود المحـ مداوي. (٢٠١٥). *الفل سفة الـ سيا سية: كـ شف لما هو كائن، وخوض في ما ينبغي للعيش مـ عاً*. بيروت: دار الروا فد– ناشرون.

١٣. فؤاد زكر يا. (١٩٧٨). *هربرت ماركيوز*. القاهرة: دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع.

١٤. فؤاد زكريا. (٢٠٢٠). *هربرت ماركيوز*. مصر: مؤسسة هنداوي.

١٥. كارل وآخرون ماركس. (٢٠١٥). *البيان الشيوعي*. (العفيف الأخضر، المترجمون) بيروت: منشورات الجمل.

١٦. كمال بومنير. (٢٠١٠). *النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

١٧. مجموعة مؤلفين. (٢٠١٢). *مدرسة فرانكفورت النقدية: جدل التحرر والتواصل والاعتراف*. (علي عبود المحمداوي، المحرر) الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

١٨. مجموعة مؤلفين. (٢٠١٣). *الفلسفة الغربية المعاصرة ج١*. (علي عبود المحمداوي، المحرر) الجزائر: منشورات الاختلاف.

١٩. هدير حسن. (٢٠٢١). *ماكس فيبر وفلسفته الاجتماعية*. العراق: دار اشور.

٢٠. هربارت ماركوز. (١٩٨٨). *الإنسان ذو البعد الواحد*. (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت: منشورات دار الآداب.

٢١. هربرت ماركوز. (١٩٧١). *فلسفة النفي: دراسات في النظرية النقدية*. (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) بيروت: مذ شورات دار الآداب.

٢٢. هربرت ماركوز. (١٩٧٩). *البعد الجمالي: نحو نقد النظرية الجمالية الماركسية*. (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

٢٣. هربرت ماركوز. (١٩٨٨). *الإنسان ذو البعد الواحد*. (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت: منشورات دار اداب.

٢٤. هربرت ماركوز. (٢٠١٢). *فلسفات النفي: دراسات في النظرية النقدية*. (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع.

٢٥. هربرت ماركيوز. (١٩٧٠). *العقل والثورة: هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية*. (فؤاد زكريا، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية العامة للنشر والتوزيع.